جغرافياً الى حيث تلتقي الحضارات في الماضي عند الموانىء، وأخذ السهل الساحلي ينتعش، والحياة تدبّ فيه منذ فتح قناة السويس. فبدلاً من ان تبقى القرية مكتظة ومنكمشة على نفسها في الجبل، أخذت ترسل ابناءها الى حيث اراضيها في السهل والمرج لتعيد الى هذه الاراضي الحياة، زرعاً وقلعاً، انتاجاً وربحاً.

○ في مقدمة «القرية العربية الفلسطينية...» كتبت: «ستشهد السنوات العشر القادمة بقايا آخر بيت بني من الحجر الغشيم والتراب، لتحل محله مساكن الاسمنت بأنماطها وتخطيطها المستورد». هل ستنتهي القرية الفلسطينية تماماً، وما هو البديل؟

ـ تداخلت في انهاء المظهر الخارجي للبيت العربي الفلسطيني مجموعة عوامل، منها، اولاً، عنصر الزمن وتآكل مواد البناء؛ ثانياً، سهولة الوصول الى مواد بديلة أكثر صموداً وتقليداً للغرب في توزيع الوظائف على الغرف استجابة لروح العصر ومتطلباته، خاصة وان الفلاح انهى تعامله مع دواب العمل ولم تعد لها ضرورة اقتناء واستعمال؛ اذ ان القوة الفاعلة في الزراعة أصبحت الآلات بدل الحيوان والانسان الى حدّ بعيد. فلم نعد نرى فدّاناً من البقر مثلاً، او بغلاً، او حماراً، يأوي الى اسطبل البيت كما كانت العادة. وإنْ وجدت مثل هذه الحيوانات، خصّصت لها أماكن، كالزرائب والبايكات، بعيداً من أماكن السكن. ومن هنا تغيّر البيت كما تغيّرت وظائفه، وبخاصة الزراعية. اذ لم يعد خزن الغلال في داخل البيت، ولم تعد أماكن لخزن التبن، كما كانت العادة. ولكن سيبقى جدار، وسيبقى شباك، وستبقى سدّة (اوزاوية) هنا وهناك، لتشهد على نمط بناء وأنماط سلوك سكنية خلقها الانسان الفلاح الفلسطيني. هذا لا يعني، اطلاقاً، ان النواة ستفرغ؛ بل على العكس، ستقام مبانٍ جديدة فوق القديمة، والى جانبها، ككل، نواة لقرية، او مدينة، في العالم. ومن هنا ننصح، كما قلنا بذلك دائماً، ان تسرع السلطات المحلية في كل القرى الى اختيار موقع نموذجي تصونه، وتحوّله الى متحف بلدي يستوعب أدوات العمل القديمة وأنواع الاثاث القديم، لتستطيع اجيال الغد فهم، ودرس، حياة اجدادهم، دون ان تتكوّن في ذهنيتهم انماط صور لهؤلاء الاجداد تبعث على عدم الاحترام، انْ لم تفهم وتشرح بعمق.

○ كيف نحافظ على أنماط نموذجية من قرانا ؟ وما الذي تقترحه للحفاظ على هذه الانماط ؟ وما هي القرى التي لا تحتفظ، ولو الى حدّ ما، على طابع القرية؟

ـ الواقع، يصعب جداً الاجابة عن مثل هذا السؤال؛ اذ لا توجد سلطة تستطيع رعاية قرانا؛ وتبقى القضية قضية مبادرات للحفاظ على اجزاء من هذه القرى، وليس على القرى نفسها.

وعلى صعيد آخر، أنا لا أريد ان ينظر الى القرى وكأنها محميات طبيعية، على الرغم من ان الكثيرين من الاجانب يتمنّون، ويصلّون، من اجل ان يرضى القرويون بمثل هذا الاقتراح، ليستطيعوا، في كليات علم الاجتماع والهندسة المعمارية وغيرها من الكليات، درس التطوّر الذي قد يحدث في مثل هذه القرى المصونة؛ وهذا ما حذّرت منه في كل لقاء لي مع مجموعة أجنبية التقيتها. نحن لا نشكو من عدم القدرة على «التدنمك»، بل على العكس، نحن منفتحون، ولدينا القابليات لاستيعاب كل جديد، على الرغم من محافظتنا على كثير من عاداتنا الاصيلة التي تبقى القرية محطة ضخ لها لاجيال كثيرة قادمة، كالتماسك الاسري، والتعاون بين الفئات، فرحاً وحزناً، عملاً وانتاجاً، وحتى الايام التطوعية التي شهدنا انبثاقها في قرانا ومدننا اتخذت مسلكها من التعاون القروي الذي يعتبر جزءاً من الذات الفلسطينية، التي أخذت تتبلور، مؤخراً، لتحافظ على أنماط سلوكها هذه.

○ كتاب «الارض، الانسان والجهد» سبق كتاب «القرية العربية الفلسطينية...». اعتقد بأن الكتاب الاول كان بمثابة تقديم للكتاب الثاني. ما رأيك؟ وما الذي وضعته نصب عينيك حينما كتبت مثل هذا الكتاب؟

ـ الكتاب الاول ليس مقدمة، كما ذكرت، انما هو مكمّل. والكتابان توأمان. أظن ـ وهكذا قيل لي ـ انه كان اول دراسة للحضارة المادية في أي قطر عربي بمثل هذا النمط من الدراسات. والأهمّ، انه بعد «الارض، الانسان والجهد» اندفعت جماهيرنا، على مختلف مستوياتها ومؤسساتها، فأقامت